

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

منذ نحو خمسة وعشرين عاماً كنت أدرّس تفسير الذكر الحكيم لطلاب قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظللت أعواماً متوالية أعنى بدراسة اتجاهاته المتعددة على مرّ التاريخ ، من اتجاه يقوم على المأثورات الروية ، إلى اتجاه اعتزالي أو شيعي أو صوفي أو فقهي تشريعي أو لغوي نحوي أو بلاغي . ولفتنى في اتجاه المأثورات ما أقحم عليها من إسرائيليّات تتصل بالحديث عن بدء الخليقة وعن قصص بعض الأنبياء مثل مقدار سفينة نوح ونوع الخشب المصنوعة منه ، ومثل أسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم الخليل ، ومثل الجزء من البقرة في قصة موسى الذي ضرب به القتل فرُدّت إليه الحياة ، ومثل أسماء أصحاب الكهف وعدّتهم وأحوالهم ، إلى غير ذلك مما ينبغي التحرز منه وتنحيته عن تفسير القرآن الكريم . ولفتنى في اتجاهات غلاة التشيع والصوفية الاتساع في تأويل الآيات ، حتى يُعَدَّلُ بها أحياناً إلى دلالات إشارية لا تحتملها الألفاظ ولا يؤدّيها ظاهرها الصريح .

وقديماً لاحظ ذلك كله ابن تيمية في مبحثه القيم عن أصول التفسير ، وقد حمل فيه على الإسرائيليات المدسوسة في التفاسير ، وفي رأيه أن هذا هو الذي دفع أحمد بن حنبل الإمام المشهور إلى أن يقول : ثلاثة لا

أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي . وحمل ابن تيمية على المعتزلة والباطنية الذين يَصْرَفُونَ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ عَنْ مَعَانِيهَا نِظَاهِرَةً إِلَى مَعَانٍ بَعِيدَةٍ تَتطَابَقُ مَعَ آرَائِهِمْ وَمَعْتَقَدَاتِهِمْ . وَحَمَلَ أَيْضاً عَلَى الصُّوفِيَّةِ مَلَاخِظاً أَنَّهُمْ قَدْ يَفْسِرُونَ الْقُرْآنَ مَعَانَ صَحِيحَةٍ . غَيْرَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَتَضَمَّنُهَا . وَقَدْ يَنْزَلُونَ فِيحْمَلُونَ بَعْضَ الْآيَاتِ عَلَى مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ مِنْ وَحْدَةِ الوجودِ وَوَحْدَةِ الشُّهُودِ وَالْفَنَاءِ فِي حَقِيقَةِ اللَّهِ . وَخَلَصَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ إِلَى أَنَّ خَيْرَ طَرِيقِ التَّفْسِيرِ أَنَّ يَفْسَرَ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ ، فَمَا أَجْمَلَ فِي مَوْضِعٍ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا ذُكِرَ مَوْجِزاً فِي آيَةٍ جَاءَ مَفْصَلاً فِي آيَةٍ أُخْرَى . وَإِنْ لَمْ يَفِ الْقُرْآنُ أحياناً بِالْمُرَادِ رَجَعَ الْمَفْسِّرُ إِلَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ . فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ بَعْضَ الْآيَاتِ كَمَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى شَأْنَهُ : ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » . وَيَضُمُّ الْمَفْسِّرُ إِلَى ذَلِكَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَافَقُوا الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَفَهَمُوا عَنْهُ التَّنْزِيلَ . وَكَذَلِكَ أَقْوَالَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ خَالَطُوهُمْ وَوَقَفُوا مِنْهُمْ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . وَيَفْتَحُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ الْأَبْوَابَ أَمَامَ الْمَفْسِّرِ لِيَجْتَهِدَ وَيَسْتَنْبِطَ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَوْفَى الْعُدَّةَ لِذَلِكَ بِاسْتِعَابِهِ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَآيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ الْمُتَقَابِلَةِ لِأَقْوَالِ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِيهِ ، وَبَعْدَ أَنْ يُتَقَنَّ الْعَرَبِيَّةَ وَيَتَعَمَّقَ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ ، وَبَعْدَ عِلْمِهِ الدَّقِيقِ بِدَلَالَاتِ الْقُرْآنِ وَتَدْوِقِهِ لِخِصَائِصِهِ الْبَيَانِيَّةِ الرَّائِعَةِ .

ومضى ابن تيمية يطبق منهجه على بعض السور القرآنية ، وفي مقدمتها سورة النور وبعض سور قصار من جزء « عم » وخص سورتي الموعذتين برسالة مستقلة ، وأفرد كتاباً لسورة التوحيد أو الإخلاص . وتفسير كل آية من آيات هذه السور عنده يتحول إلى بحث في مضمونها من خلال القرآن كله

وتبعه في هذا المنهج ابن قيم الجوزية تلميذه في كتابه : « التبيان في أقسام القرآن » وفي تفسيره للمعوذتين . ولذلك مقدمات عند من سبقهما من المفسرين ، إذ كثيراً ما يتوقفون إزاء مضمون آية ليشيروا إلى مضمون مماثل لآية أخرى ابتغاء الدقة في التفسير . وقد وضع الراغب الأصفهاني في القرن الخامس الهجري معجماً عظيماً لألفاظ القرآن عرض فيه كل لفظة من ألفاظه وجميع استعمالاتها الموثقة فيه لتكون دائماً تحت أعين المفسرين فلا يختلط عليهم معنى ولا تضطرب عليهم دلالة .

وجهدٌ لا تكاد تُحصى نهض بها الأسلاف لتفسير القرآن وبيان معانيه ، حتى إذا أشرفنا على نهاية القرن التاسع عشر الميلادي رأينا العالم الجليل الشيخ محمد عبده يحاول - على هدى قراءاته لابن تيمية وتفسير الأقدمين - أن يعرض تفسيراً دقيقاً بديعاً لجزء « عم » أخلاه من كل الشوائب العقيدية والإسرائيلية ومكّن فيه لرفض البدع والخرافات واستخدام الفكر الحرّ في فهم معاني القرآن وما دعا إليه من الرقيّ بالروح والنهوض بالمجتمع . أما الرقيّ الروحيّ فيمَا قدم للإنسان من تهذيب خلق قويم . وأما النهوض بالمجتمع فيمَا وثق بين أفراده من تعاون وتكافل . مع تقديم كل الأسباب كي يتحقق الكمال الفكري والروحي والاجتماعي الذي يطمح إليه الإنسان الممتاز . وقد دعم فكرة وحدة السياق في السورة وأن المدار على عموم اللفظ لا على خصوص السبب ، ودعا دعوة قوية إلى التسليم بكل ما هو من عالم الغيب كعالم الملائكة والجن والشياطين وكالبعث وما يتصل به من الثواب والعقاب ، فكل ذلك ينبغي أن نسلّم به لقصور عقولنا عن معرفة كنهه والتعمق في حقائقه .

وقد تَلَّتِ الشَّيْخَ الإِمَامَ تَفَاسِيرُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا اهْتَدَى بِهِدْيِهِ وَمِنْهَا مَا خَاصَّ فِي مَبَاحِثٍ عِلْمِيَةٍ كُنْتُ وَلَا أَرَاها تَجَنَّحَ عَنِ الْجَادَّةِ ، إِذِ الْقُرْآنُ فَوْقَ كُلِّ عِلْمٍ ، وَمِنَ الْخَطَأِ أَنْ يُتَّخَذَ ذَرِيعَةً لِإِثْبَاتِ نَظَرِيَّاتٍ عَامِيَةٍ فِي الطَّبِيعَةِ وَالْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ . وَهُوَ لَمْ يَنْزَلْ لِبَيَانِ قَوَاعِدِ الْعُلُومِ وَلَا لِتَفْسِيرِ ظَوَاهِرِ الْكُونِ . وَمَا ذُكِرَ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ إِنَّمَا يَرَادُ بِهِ بَيَانُ حِكْمَةِ اللَّهِ وَأَنَّ لِلْوُجُودِ خَالِقاً أَعْلَى يَدْبُرُهُ وَيَنْظُمُ قَوَانِينَهُ . وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ يَدْعُو أَتْبَاعَهُ دَعْوَةَ عَامَةٍ إِلَى الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ لِلْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْكَونِيَّةِ . وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ وَالتَّحَوُّلُ بِالْقُرْآنِ إِلَى كِتَابٍ تُسْتَنْبِطُ مِنْهُ النِّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ شَيْءٌ آخَرَ لَا يَتَّصِلُ بِرِسَالَتِهِ وَلَا بِدَعْوَتِهِ . إِنَّهُ دِينٌ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، يَزْرَعُ بِمَا لَا يُحْصَى مِنْ قِيَمٍ رُوحِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ ، وَحَسَبُ الْمَفْسَرِ أَنَّ يُعْنَى بِبَيَانِ مَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقِيَمِ وَمِنْ أَصُولِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَتَعَالِيمِهِ الَّتِي أَضَاعَتْ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَضْوَاءً غَامِرَةً .

وَكَانَ مِنْ حَسَنِ حَظِّي أَنْ دَعَنْتِي صَحِيفَةُ الْأَهْرَامِ فِي سَنَةِ ١٣٨٩ هِجْرَةَ لِأَشْرَافِكِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ بِبَعْضِ أَحَادِيثِ دِينِيَّةٍ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ أَعْرَضَ فِيهَا دِرَاسَةً لِبَعْضِ سُورِ قِصَارٍ ، وَنَشَرْتُ لِي عَرَضاً لِسُورِ الْفَاتِحَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْعَصْرِ ، وَوَقَعَ هَذَا الْعَرَضُ مَوْقِعَ اسْتِحْسَانٍ مِنْ نَفُوسٍ كَثِيرِينَ كَتَبُوا إِلَيَّ أَنَّ أَمْضَى فِي عَرَضِ سُورٍ أُخْرَى وَدِرَاسَتِهَا ، وَاسْتَحْتَنِي كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَطَلَبَ إِلَيَّ عَالَمٌ جَلِيلٌ أَنْ أَبْدَأَ بِعَرَضٍ وَدِرَاسَةٍ لِسُورَةِ الرَّحْمَنِ : سُورَةِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا عَرَضاً وَدِرَاسَةً لِسُورِ قِصَارٍ ضَمَمْتُ إِلَيْهَا سُورَ الْفَاتِحَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْعَصْرِ . وَجَمِيعُهَا تَتَنَاوَلُ أَصُولَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَبَعْضَ مَبَادِيئِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَقَدْ بَسَطْتُهَا جَمِيعاً مِنْ خِلَالِ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ،

بحيث كنت أتخذ من الآية نوراً يهدينى إلى مضمونها العام فى القرآن ، وأحاول ، بقدر ما أستطيع ، عرضه ووصفه ، سواء اتصل ذلك بعظمة الله وجلاله ورحمته وآلائه فى الدنيا والآخرة ، أو بالرسالة والرسل ، أو بالملائكة والجن والشياطين ، أو بماهية الحياة بعد الموت والثواب والعقاب فى الآخرة ، أو بالتهذيب الروحى والخلقى ، أو بالعلاقات العمرانية ، أو بتحرير الإنسان من الهوى والخرافات وجملة الآثام ، أو بدفعه إلى استغلال عقله وكشف قوانين الكون وأسراره ، أو بإيقاظ وجدانه ومشاعره والسمو به إلى الكمال الإنسانى المأمول . وأعترف بأننى رجعت إلى كثير من كتب التفسير كتفسير الطبرى والنيسابورى والزمخشرى والفخر الرازى والقرطبى وابن كثير وابن تيمية وابن قيم الجوزية والبيضاوى وأبى حيان والألبانى وإسماعيل حقى والشيخ محمد عبده . وكل ما نهضت به فى هذه الصحف لا يعدو غرفة صغيرة بيدي القاصرتين من ينبوع القرآن العظيم الذى يغذى برحيقه الصافى العقول ويشقى القلوب والنفوس .

ولله الحمد فى الأولى والآخرة

شوقى ضيف

القاهرة فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ .

obeikandi.com

# فاتحة الكتاب

o b e i n a n d . c o m

obeikandi.com

## عرض ودراسة

فاتحة الكتاب الحكيم ، وأمّ القرآن العظيم ، جمعت رُكني الإسلام :  
رُكن العقيدة وركن العمل . العقيدة بكل ما يُطَوَّى فيها من توحيد الله  
وتمجيدهِ وتحميده والإيمان بأنهُ منشئُ الكونِ وصانعه ومنعهده ، وبأنه  
يفيض عليه رحمته رحمةً واسعةً شاملةً ، وبأن هناك معاداً بعد الموت  
للحساب والجزاء . والعمل بكل ما يُطَوَّى فيه من عبادة الله وأداء فرائضه  
الدينية والاستعانة القلبية بالله في كل أمرٍ والتبتُّلُ إليه أن يهديننا سبيل  
الرَّشاد ، سبيل من أَضْفَى عليهم نعمته ، فاتَّبِعُوا تعاليمه الروحية ، لا سبيل  
من استحقَّقوا غضبه من المشركين والضَّالِّين الأثمين .

( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) :

إذا أخذنا أنفسنا بشيء من إنعام النظر في آيات السورة الكريمة وجدنا  
الآية الأولى تبدأ بحمد الله والثناء الكامل عليه ثناءً يستحقه لذاته وصفاته  
القدسية وأفعاله الكونية . و ( الله ) هو اسم الذات العلية الأعظم ، وقد تكرر  
في الذكر الحكيم نحو ألفين وسبعمائة مرة ، تارة في ألوهيته ورُبوبيَّته ، وتارة  
ثانية في وصف عبادته أو التعبُّد له ، وتارة ثالثة في وصف أهل الهدى  
وأهل الضلال . وتقترن بالحمد في الآية كل هذه الصفات الإلهية حمداً  
للإله العليِّ العظيم الذي أسبغ نوره على الوجود وأضفى سلطانه على الأكوان  
سلطاناً كله خير وكله نعمة . وهو حمدٌ صادرٌ عن إيمانٍ عميقٍ بجلال الله  
وكماله المطلق في كل ما يتجلَّى به في الكون مما يستوعبه البصر وما لا

يستوعبه وكلُّ ما يتمثله الإنسان بجوارحه وفي جوانحه من آيات عظمته . وفي الحديث النبوي : « إن عبداً من عباد الله قال : يا ربُّ لك الحمدُ كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فعصَلتُ بالملكين ( أى استغلقتُ على الملكين الكاتبين لأعمال هذا العبد ) فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء . وقالوا : ياربنا إن عبدك قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها . قال الله عزَّ وجلَّ - وهو أعلم بما قال عبده - : ماذا قال عبدي ؟ قالوا : إنه قد قال : ياربُّ لك الحمدُ كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : اكتبها ، كما قال عبدي ، حتى يلقاني ، فأجزيه بها . » والحديث تمثيلٌ قوىٌ لثواب كلمة : ( الحمدُ لله ) . وهو حمدٌ يتضمَّنُ الشكرَ للكائن الأعلى شكراً من أعمقِّ الأعماقِ على ما أسدى للإنسان من نِعَمٍ ، في مقدمتها نعمةُ الشرائعِ السماويةِ عامة ، والشريعةِ المحمديةِ خاصَّةً ، بكلِّ ما حملتُ للإنسانية من خير وسعادة في الدارين . وتتضمَّنُ كلمة ( الحمد لله ) أيضاً الرضا بكلِّ ما أعطى وكلِّ ما قدر وقضى ، رضاً قوامه تفويضُ أمر الإنسان إلى الله والتسليم لحكمه تسليماً يتخلَّص فيه من كلِّ منازعة لمعارضة أمر من أوامر الله أو نهي من نواهيه . ولذلك كان الحمد أعمَّ من الشكر وأدقَّ ، إذ هو ثناءٌ على المحمود بصفاته دون تفكير في معروفٍ قدَّمه إليك . في حين أن الشكر لا يكون إلا مكافأةً على معروفٍ أو صنيع .

( رَبُّ الْعَالَمِينَ ) :

ربُّ السموات والأرض وما بينهما ، أو بعبارة أخرى ربُّ جميع الكائنات

والموجودات وكل مخلوق من الإنس والجنّ والملائكة وغير الملائكة . وقد ذكرت كلمة ( رب ) في القرآن أكثر من تسعمائة وخمسين مرة . ومعناها اللغوي المصلح والمدبّر والمتعهّد القائم على الشيء والمنمّي له الحافظ . فالله جَلَّ وَعَزَّ ( ربّ العالمين ) جمع عالم . وهو كل موجود سواه . يتعهّده بالتربية والتنمية ، إذ العالم كله بجميع صورته من إنشائه ، وهو الذى يرعاه ويقوم عليه . وإن عمله فيه وإبداعه فى صنّعه ليتجلّى لكل عينٍ ناظرة . ومن هنا استمد القرآن برهانه الكونى على وجود الله . فالكون . وكل ما فيه من كواكبٍ وغير كواكبٍ يشهد بأن هناك إلهاً دبّر هذا الكون وأقام نظامه الوطيد وبتّ فيه أسراره وحكمته ، فكل شىء يسير على بصيرة وهُدًى . وكل شىء يسير بقوانين محكمة لا عوج فيها ولا أمت ولا نقص ولا اضطراب ، يقول تبارك وتعالى فى سورة يس : ( وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) ويقول فى سورة الملوك : ( مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَٰوُتٍ ) فكل شىء مخلوق بتقدير دقيق خلقاً يدل على الصانع العظيم المنعوت فى سورة الأعلى بقوله : ( الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَىٰ ) . خالق يُتِمُّ خلقه فى أروع صورة محكمة . صورة تأخذ بالأبواب حتى لتشهد مدعنة بأن للكون إلهاً يقوم على إيجاده وتصريفه وضبطه بقوانين ثابتة لا يمكن نقضها ولا بطلانها ، إذ تُسرى فى كيان الوجود كله . وتأخذ بزمامه ، حتى ليتضح فيه الانقياد والخضوع لكائن أعلى يُهيمن عليه ويُسيطر بحكمته العلية . إله يعنو له كل الوجود وتَعْنُو له كل الوجوه قد أحاط

علمه بكل شيء كما جاء في سورة الأنعام : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) ، فكل شيء في الكون مسخر لعلم الله ولسلطانه المبسوط على كل ما في الوجود ، تسخيراً قوامه النظام المطرد دون اضطراب ودون أي خلل أو أي تفاوت ، مما يشهد بأن للوجود خالقاً أعلى يدبره ويحكم تدبيره ، مفضلاً عليه من جلاله وجماله . يقول جل شأنه في سورة آل عمران : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آياتٍ لأولي الأبصار) فكل من تأمل في ملكوت السموات والأرض ونظام الكون عرف أنه لم يحدث مصادفة ولا أحدثته قوة عمياء . بل أحدثه مدبر أعظم أنشأه على قوانين ثابتة ، ومضى يتعهد كل ما فيه حتى يبلغ مستقره والغاية التي قدرت له . وليس في هذا الكون العظيم شيء أدل على الله من شيء ، فأضحى الكواكب حجماً في السموات كأصغر الكائنات حجماً في الأرض من حيث الدلالة على دقة الصنع . وبالمثل الطاووس المستحسن والغراب المستقبح ، والنار الحارة والصقيع البارد ، والطيور والحشرات ، كلها سواء في الدلالة على منشي الكون . ومثلها الفيل والهرة والجبل والذرة . فمنها ومن نظائرها جميعاً يتألف الكون . وفي كل كائن من كائناته غرائب ، ومن ضم بعضها إلى بعض تتكاثر الغرائب والأعاجيب الدالة على الصانع الأول وما بثه من حكمته في خلق الحيات والذئاب والفراسخ والذباب وكل ما تبغضه أو تظن الحكمة فيه خافية أو ناقصة . إنه الكون بتمامه وكل ما فيه من كائنات خيرة وشريرة يتألف منها بنيانه وكلبياته وجزئياته وما بداخلها

من كوامن الحكمة الإلهية ودفائنها مما يملأ النفوس بالعجب ، ومما يدفع العقول إلى الإيمان بإله قائم على هذا الوجود يدبره ويحكم تدبيره إحكاماً متقناً . وهو ليس خالقاً ولا صانعاً ولا منشئاً فحسب ، بل هو أيضاً ( رب ) يُربِّي ما يخلقه وينشئه ويتعهده في أطواره من طور إلى طور حتى يصل إلى الغاية المرتقبة . ولا تحمل كلمة ( رب ) معنى التعهد والرعاية فحسب ، بل تحمل أيضاً معنى العطف وافتقار الإنسان إلى ربه ومتعهده ، ولذلك كثر دعاء الناس الذات العلية به ، وفي القرآن أمثلة كثيرة لذلك كما جاء في أواخر سورة آل عمران من مثل : ( رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ) وتتردد الصيغة ( رَبَّنَا ) مراراً وتكراراً في الذكر الحكيم .

### ( الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ) :

إنعام بعد إنعام . و ( الرَّحْمَنُ ) عَلَّمَ خاصاً به للدلالة على أنه لا نظير له ولا شبيهه في رحمته ، إذ يعم بها الخلق جميعاً ، حتى من نكّل عن طاعته من خلقه . وهو رحيمٌ بعباده ممن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً . وقد تكرر وصف الله بالرحمة في الذكر الحكيم نحو خمسمائة وستين مرة ، وكأما هي الصفة الغالبة للرُبُوبِيَّة ، فهي ربوبية تقوم على الرحمة بالناس حتى العصاة . يقول جل شأنه في سورة الأنعام : ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) . ويقول في سورة الأعراف : ( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ) . وتفتن الرحمة بالعفو في آيات كثيرة مثل آية سورة الزمر : ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) إنه رحيمٌ يعفو عن سيئات عباده ويغفر لهم

ما اقترفوا من ذنوب وآثام . وإنه ليطلب إلى المؤمنين أن يتمثلوا به في الرحمة والعتو والغفران لمن استوجبوا أشد العقاب من الكفار قساة القلوب إذ يقول جلَّ وعزَّ للرسول في سورة الجاثية : ( قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ) أى يعفوا ويتجاوزوا عمَّن لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه . ويقال إن الآية الكريمة نزلت في عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين شتمه رجل مشرك من قبيلة غفار ، فهمَّ أن ينطش به ، وقيل : بل همَّ أن يقتل عبد الله بن أبي رأس المنافقين حين سفه في غزوة بنى المصطلق على الرسول عليه السلام وعلى المهاجرين رضوان الله عليهم . وهى شفاعة عظيمة من الرحمن الرحيم أن يُغضى بعمَّر وأصحابه من المؤمنين عن أذى المشركين والمنافقين ، وأن يصفحوا عنهم ويكظموا غيظهم امتثالاً للإرادة العُلْيَا الكريمة . ولعل في ذلك ما يدل بوضوح على بطلان ما يزعمه أعداء الإسلام من أن الله ، عزَّ سلطانه ، يُوصفُ في القرآن بالقسوة في الانتقام .

وينبغى أن نعرف أنه لم يُذكر الانتقام والعقاب في الذكر الحكيم ترهيباً إلا ذكِرَ معهما الرحمة والغفران ترغيباً . وبموج القرآن بالرحمة والعتو والمغفرة . ولا ريب في أن العقاب الذى يتردَّد في القرآن إنما يُراد به أن ينتهى المسىء عن إساءته وأن يرتدع ويزدجر ويسلك طريق الهدى والرشاد ، فدافعه ليس الرغبة فى العقاب ، إنما الرغبة فى أن يثوب المذنب إلى نفسه ، ويتوب من كل ما سقط. فيه من المعاصى . ومعروف أن القرآن جعل عقاب السيئة بمثلها . فى حين جعل جزاء الحسنة أضعافاً مضاعفة ، يقول عزَّ شأنه فى سورة الأنعام : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

ومن جاء بالسَيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . والقسوة المزعومة لا شك ظلمٌ تنزه الله تعالى عنه ، وقد طلب إلى عباده أن يتنزَّهوا عنه وأن يتمسَّكوا بالعدل وقِسْطاسه المستقيم ، بل جعل ذلك أمراً محتوماً في آية سورة النحل : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) وأضاف ، جلَّ ذكره ، الإحسان إلى العدل حتى لا يقف الإنسان عند المساواة في المكافأة على الخير والشر ، بل يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه. وفي صحيح مسلم عن الرسول عليه السلام : « لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنَّته أحد » . ومن تمام رحمة الله بعباده أوصافه لذاته المرددة في القرآن من مثل ( اللطيف ، الودود ، الرؤوف ) . ومن أعظم هذه الأوصاف وصف المحبة ، والقرآن مليءٌ بها زأخرُ بعبيرها من مثل : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ) ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ) ويقول جلَّ شأنه في سورة الصف : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُورًا ) . فالله يحبُّ عباده لجهادهم في سبيله ونضالهم عن دينه ، ولتقواهم وإحسانهم وصبرهم ، ولتطهَّرهـم وتوبتهم توبة نصوحاً ، وعباده يحبونه ويُصَفونـه ودَّهم حتى لا يبتـى فيهم موضع لغيره ، بل حتى يصبحوا كلهم له ظاهراً وباطناً .

( مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ) :

مصرفٌ هذا اليوم بحسب إرادته ومشيئته ، وهو يوم الجزاء ، يوم يحاسبُ كلُّ إنسان على ما قدَّمت يداه من خير أو شر ، ومن عمل صالح

أو عمل سيئ ، ويُجزَى الجزاء الأوفى كما جاء في سورة الزلزلة : ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) فلا ظلم ولا جور في الجزاء ، أو بعبارة أخرى في الثواب والعقاب ، بل عدلٌ أدقُّ ما يكون العدل ، وهو عدل مقرون بالرحمة والإحسان ، ومن أجل ذلك سبقت آية الثواب آية العقاب . ونص القرآن في غير موضع على أن الثواب يتضاعف كما مرَّ بنا في آية الأنعام إذ تضاعف فيها عشرَ مرات ، بأن جعل للحسنة (عَشْرُ أَمْثَالِهَا) . والآية التي نحن بصددتها تتضمن - كما هو واضح - عقيدة المعاد وأن الناس مبعوثون بعد موتهم للعرض على (الرحمن الرحيم) ومحاسبون على أعمالهم ، فقد أعطاهم الله من العقل والفكر والتمييز والبصيرة والحكمة ما يجعلهم يفرقون بين الأعمال الخيرة والشرييرة ، والنافعة والضارة ، فمن ميز واختار العمل الصالح كُتبت له السعادة في الدار الآخرة ، ومن عطلَّ عقله واتبع هواه واختار العمل السيئ كُتبت عليه الشقاء كما قال تعالى في سورة يونس : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) . وقد سُمي يوم البعث في الذكر الحكيم بأسماء عدة ، منها : يوم الدين ، واليوم الآخر ، ويوم القيامة . وقرن القرآن مراراً يوم المعاد بالإيمان بالله مورداً أدلة وبراهين كثيرة على أنه واقع لا محالة . فإن من أنشأ الكون وأبرزه من ظلام العدم وأفاض عليه من نوره قادر على أن يعيد الناس إلى حياة جديدة كما قال في سورة الإسراء : ( وَقَالُوا

أُنْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَرِنَا لِمَ بَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) . والإيمان بالبعث والحساب والجزاء من شأنه أن يدفع الإنسان إلى حياة أفضل يتحلَّى فيها بالخلق الكامل معجنتبا الكبائر والآثام ما صَغُرَ منها وما كَبُرَ حتى ينال رِضوانَ ربه . وتتضمن كلمة (مالك) التي وُصِفَتْ بها الذاتُ العليَّةُ القدرةَ والاختيارَ ونفاذَ الحكم كما تتضمن العقو والصَّفْحَ والغُفْرَانَ ، فالله (مالك يوم الدين) المتصرف في شؤونه يثيب ويعاقب ، وقد يصفح عن العقاب ، ولا معقَّبَ لحكمه ، إنه مالك رحيم ، وعادل يحفُّ الإحسانَ عدله ، ويقول جلَّ شأنه في سورة هود : (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) فالأعمال الحسنة تكفر عن السيئات وتذهب بالعقاب عليها وتمحوه محوًا . تفضلُ كريم من صاحب الفضل والإنعام .

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) :

توجهٌ إلى الذات العليَّة من الغيبة إلى الخطاب لبيان الركن الثاني من ركني الإسلام اللذين أشرنا إليهما في مستهلّ الكلام عن السورة الكريمة ، ونقصد ركن العمل بكل ما يتصل به من العبادة وأعمالها المفروضة التي يجب على كل مسلم أداؤها ، وهي الصلاة والحج والصوم والزكاة . الصلاة بما يسبقها من طهارة الوضوء وبما فيها من تلاوة القرآن ومن التكبير والتسبيح والاستغفار . والحج المفروض على المستطيع القادر في أشهر معلومات بما فيه من نُسكٍ وذكر لله وخلوص تام للعبادة . والصوم : صوم شهر رمضان الذي وصفه الله في سورة البقرة بقوله : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِّنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . ثم الزكاة ، وهي أن يُؤخَذَ جزء من مال الغنيِّ للفقير وللصلحة العامة للأمة والدعاة . ويسمى الإسلام هذا الصنيع زكاة أي تطهيراً للنفس . وجعل الله الجهادَ فريضةً مكتوبة كفرائض العبادة السابقة . بل لقد جعله أروع وأعظم من نُسك النَّسَاك ومن الاعتكاف لعبادة الله آتاء الليل وأطراف النهار . وتتضمن الآية توحيد الإله المعبود ، فالله وحده الذي تعنو له الوجوه ، ولا معبود سواه ، ولا عبودية لغيره من أوثان وأحجار وكواكب وأجرام سماوية أو قوى طبيعية ، يقول عزُّ ذكره في سورة طه : ( إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ) ، ويقول في سورة فصلت : ( وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ) ، ويقول في سورة النساء : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ) . فكل شيء يمكن العفو عنه وغفرانه إلا الشرك بالله ، فأثمه أعظم من أن يُغْفَرَ ، وأى إثم !<sup>٩</sup> إنه ليس إثمًا في حقِّ الله وحده ، بل هو أيضاً إثم في حقِّ الإنسان الذي منح أداة التفكير ، لترفعه من حضيض الوثنية إلى مراتق التوحيد ، فإذا هو يعطلها ، وبدلاً من أن ينتفع بالقوى الطبيعية ويسخرها لنفسه كما أوصاه الذكر الحكيم مبدئاً ومعيداً إذا هو يقدرُها ويعبدها ويعيش في عالمها الخرافي المؤذن بالبوار والضلال والخسران . إنه ليس هناك إلا إله واحد فرضت عبادته على الناس جميعاً ، إنه إله الكون ومنشئه وخالقه ، ولا معبود بحق سواه ، إله تخشع له كل القلوب ، وتدعن كل النفوس ، آملة في الهداية والرشاد .

( وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) :

منك وحدك نطلب العون والتأييد . وهو طلب تتمثلُهُ القلوب المؤمنة ،  
إذ لا تكتفى بما يودى صاحبها من الفروض الدينية العملية . بل تطلب  
المزيد . تطلب أن يزخر الشعور الباطنى بالحاجة إلى العون الإلهى ، حتى  
تتكامل العبادة . وحتى لا تكون أعمالا للجوارح فحسب . بل تكون  
قبل كل شىء أعمالاً قلبيةً . والآية تتضمن اللجوء إلى الله . والثقة به .  
وبالتالى تتضمن التوكل عليه توكلأ مخلصاً صادقاً ، وقد ندب له القرآن  
كثيراً وحث عليه فى مثل آية سورة إبراهيم : ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ) ،  
وآية سورة المائدة : ( وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) . وآية سورة  
آل عمران : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) . والتوكل هو التفويض الصادق  
للله فى كل أمر ، بحيث نستطيع أن نقول : إن الدين الحنيف شطران :  
شطر هو التوكل وشطر هو العبادة أو الإنابة . والاستعانة بالله أو التوكل  
عليه إنما يكونان فيما يرضيه من الإيمان وتنفيذ أوامره ونواهيهِ وجهاد أعدائه  
وغير ذلك من محابته . ولا يجوز التوكل على الله أو الاستعانة به فى إثم أو  
ظلم أو عدوان وغير ذلك مما لا يحبه الله ولا يرضاه . وينبغى ألا يخلط أحد  
بين التوكل والاستعانة من طرف والتواكل والقعود عن العمل من طرف آخر ،  
فالتوكل ثقة بالله ، ومثله الاستعانة ، مع العمل ومع السعى فى الأرض ومع  
التماس الرزق . أما التواكل فنكوص عن النهوض بالعمل وقعود مُزِرٍ عن  
كسب القوت وسد حاجات الحياة ، حتى ليصبح صاحبه مهيناً يعيش  
بذل الاستجداء ومهانة السؤال .

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) :

دُعَاءٌ مِنَ الْمَرْبُوبِ إِلَى الرَّبِّ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى الصِّرَاطِ أَوْ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَيُرْشِدَهُ إِلَيْهِ ، طَرِيقَ قَاصِدٍ لَا اِعْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ ، وَهُوَ الدِّينُ الْحَنِيفُ بِعَقِيدَتِهِ وَأَعْمَالِهِ وَعِبَادَاتِهِ وَبِكُلِّ مَا رُسِمَ فِيهِ مِنْ مَثَلِ خَلْقِيَّةٍ وَمِنْ قِيَمِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ ، مِمَّا يُعَدُّ مِنْ قِيَامِهِ وَمَقُومَاتِهِ ، عَلَى نَحْوِ مَا نَعْرِفُ مِنْ جَمَلَةِ الْفَضَائِلِ الَّتِي أَلْحَّ الْإِسْلَامُ عَلَى أَتْبَاعِهِ أَنْ يَزْدَانُوا بِهَا زِينَةَ رَفِيعَةٍ . وَقَدْ يُفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهَا تَدْفَعُ رَأْيَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ اعْتَقَدُوا اعْتِقَادَهُمْ مِنْ أَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ فِي إِرَادَتِهِ وَمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ . وَلِلْأَسْلَافِ فِي ذَلِكَ مَحَاوِرَاتٍ وَمُنَاقَشَاتٍ طَوِيلَةٍ حَادَّةٍ . وَلَعَلَّ الرَّأْيَ الصَّحِيحَ هُوَ أَنَّ هُنَاكَ إِرَادَةَ رَبَّانِيَّةٍ مُطْلَقَةً تَسِيطِرُ عَلَى كُلِّ مَا فِي الْكُونِ مِنْ إِنْسَانٍ وَغَيْرِ إِنْسَانٍ . سَجَلَهَا اللَّهُ فِي مِثْلِ آيَةِ سُورَةِ الْإِنْسَانِ : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) . وَبِجَانِبِ هَذِهِ الْإِرَادَةِ أَوْ الْمَشِيئَةِ الْعُلْيَا إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ أَوْ مَشِيئَتِهِ الصَّغْرَى الَّتِي تَجْعَلُهُ مَسْئُولًا أَمَامَ اللَّهِ عَنْ عَقِيدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَجَمِيعِ أَفْعَالِهِ ، وَقَدْ صَوَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَشِيئَةَ الصَّغْرَى فِي مِثْلِ آيَةِ سُورَةِ الْكَهْفِ : (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) ، وَآيَةِ سُورَةِ فُصِّلَتْ : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) . وَبِذَلِكَ يَرْتَفِعُ التَّعَارُضُ الشَّدِيدُ بَيْنَ آرَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَهْلِ السَّنَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ .

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) :

أَيُّ طَرِيقٍ مِنْ أَنْسَبَتْ عَلَيْهِمْ نَعْمَتِكَ وَأَفْضَالِكَ ، فَإِنَّكَ أَهْلُ

الفضل والإنعام إنعاماً لا يدخل تحت حصر ولا يضمه أى حسابان ، إنعاماً يزداد به نور البصيرة نوراً إلى نوره ، وهو نفس النور الذى أفاضه الله على السابقين المقربين فى آية سورة النساء : ( فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ). وكان هذه الآية توضح الإنعام فى آية فاتحة الكتاب ، فهو إنعام متصل لا ينقطع ، ليس كمن يُنعم عليه ويُهدى إلى الطريق المستقيم ثم يُقطع به ، بل هو إنعام دائم شامل يُعم جميع المعارف والهدايات والمقامات التى تؤدى إلى رضوان الله العظيم . وهذا الإنعام الجليل الذى يطمح إليه الداعى ناظراً إلى إنعام الله على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قد يحمل فى مدلوله العلم اللدنى أو الإلهى الذى يقابل علم الإنسان والذى يفيضه الله - فى اعتقاد الصوفية - على أصفِيائه ، فى حين يرى أهل السنة أن هذا العلم الربانى إنما يستمد من مشكاة الدين الخفيف ومن كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

( غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ) :

الغضب من المخلوقين ثوران يداخل قلوبهم ، ويكون منه محمود ومذموم ، فالمحمود ما كان فى جانب الحق ، والمذموم ما خالف الحق والدين . أما غضبُ الله المبثوثُ فى القرآن فمعناه إنكاره على من عصاه فيعاقبه ، أو بعبارة أخرى معناه عقوبته كما جاء فى الحديث : « إن الصدقة لتطوئ غضبَ الربِّ » أى عقابه . والضلالُ الانحرافُ عن سُنَنِ القَصْدِ والطريقِ السَّوِيِّ . والداعى يسأل الله أن يدفع عنه الضلال والغضب كما سألَه أن يهديه إلى طريق الرشاد .

وهذه السورة الكريمة هي السورة الوحيدة في القرآن التي يوجه فيها الحديث من المرئوبين إلى ربهم . أما بقية السور جميعاً فيوجه فيها الحديث من الرب إلى المرئوبين لتلقيهم الرسالة النبوية وتعاليمها السماوية على حين نرى الفاتحة مناجاة للذات العلية ، مناجاة محفوفة بالتجلة لصفات كمالها المطلق ، وبالإخلاص القلبي الصادق لدين الله الحنيف اعتقاداً وعبادة ، وبالخشوع أمام الجلال الرباني والتضرع لرب العالمين أن يرضى على المرئوبين نعمه الهداية الإلهية . والسورة بذلك مناجاة رفيعة قسّمت بين الرب ومرئوبه ، وقد فرض تكرارها في كل صلاة ، وسميت فاتحة الكتاب وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني ، لأن آياتها السبع - بعد البسملة من آياتها - تُثنى في كل ركعة وتُعاد بشذاهها العطرى الذى يغذى العقول والقلوب والأفئدة .